

إشكالية الالتزام والعبث في الطرح الفلسفي والأدبي

*The problem of commitment and absurdity in the philosophical literary proposition*أ.د بلحنافي جوهر¹¹ جامعة مصطفى اسطنمولي معسكر. الجزائر.djouher.belhanafi@univ-mascara.dz

تاريخ النشر: 2026/04/12

تاريخ القبول: 2026/02/18

تاريخ الاستلام: 2025/10/18

ملخص: وتعد الفلسفة الفرنسية الوجودية هي من الفلسفات الأوربية تأثرت بالحركات الكلاسيكية، والواقعية والرمزية التي عارضت المذاهب المادية والذاتية بحرصها على تحليل الأفكار والمشاعر الإنسانية (كالاغتراب، المصير) ظهرت في أعمال رائعة تتنوع من الشعر والكتابة القصة المسرح والرواية. وفي النصف الثاني من القرن العشرين الذي شهد نوع من الصراع الفكري والسياسي وبرز فيه نموذجين من فلسفة الفرنسية قدما و ناقشا قضايا الإنسان ومصيره واستقطبا العديد من المفكرين ومثقفين من المشرق والمغرب وهما الفيلسوفين والأدبيين جون بول سارتر وألبير كامي اللذان جمعا بين الفلسفة والأدب للتعبير عن أفكارهما في قوالب مسرحية ورائية، حيث اعتمدا على الطرح الأدبي(المسرح، الرواية) كأفضل وسيلة لطرح آرائهما وفلسفتهما الوجودية بتجسيدها في مواقف وشخصيات متحدثة ومتحركة تنوعت بين الواقعة والعبثية. استخدم كل من كامي وسارتر الفن والأدب والمسرح والرواية لطرح آرائهما الفلسفية وتأثر كل منهما بالآخر، وكان هذا رابط لا مثيل له، إذا كان لكل منهما أثر شديد على المتلقي والدارس لهما من خلال أحاسيس أبطالهم

كلمات مفتاحية: الفلسفة الوجودية، ألبير كامي، جون بول سارتر، الأدب، الالتزام، العبث

Abstract French existential philosophy is one of the European philosophers that was influenced by the classical, realist and symbolic movements that opposed materialistic and subject doctrines with their eagerness to analyze human ideas and feelings (such as alienation, destiny) that appeared in wonderful works varying from poetry, writing, story, theatre and novel. in the second half of the twentieth century, two models of French philosophy emerged in which they advanced and discussed human issues and their destiny, and attracted many thinkers and intellectuals from the east and Maghreb, namely the philosophers and literati John Paul Sartre and Albert Camus, who theoretical forms, as they relied on literary presentation (theatre, novel) as the best way to present their opinions and existential philosophy by embodying them in speaking and moving situations and characters that varied between fact and absurdity.

Keywords: French existential Philosophy; Albert Camus; John Paul Sartre; Literary; commitment; absurdity

¹ المؤلف المرسل

1. مقدمة: جمع سارتر وكامي في فلسفتهما بين العبث واللامعقول والحرية والالتزام، قضايا التي اهتمت بمصير الوجود الإنساني والقيم الإنسانية المعاصرة، إذ كانت مكانتها عظيمة في الأوساط العربية والغربية، والمزج بين الجانب الفلسفي والجانب الأدبي أي كان لهما نوع من التعبير والتأثير في الفكر الفلسفي وأعمالهما الأدبية، بحيث يمكننا القول أن سارتر وكامي بالمشاريع التي قدموها كانت حلقة فعالة في سلسلة الفلسفة الوجودية في فرنسا. ارتكزت فلسفة سارتر على تمجيد الوجود الإنساني والحرية المرتبطة بالمسؤولية والالتزام لذلك، جعل سارتر مسرحياته وسيلة لطرح أفكاره ويظهر ذلك من خلال مسرحيته الذباب التي من خلالها كشف عن الحرية وعلاقتها بالالتزام و في مسرحية جلسة سرية التي تكشف عن المسؤولية و التي تعتبر الآخر هو جحيم، ومن خلال هتين المسرحيتين يكشف لنا سارتر عن فلسفته الوجودية التي تنادي بالحرية والالتزام وتربط بينهما برباط وثيق، كما انه تعاطف مع قضايا التحرر في العالم، وخصوصا مع القضية الجزائرية إلا أن تعاطفه مع الجزائر لا يعني هذا بالإطلاقية فتغير موقفه اتجاه القضية الفلسطينية واعتبر اليهود هم السكان الأصليون لتلك الأرض.

أما كامى يبين في فلسفته فكرة العبثية في حالة سيطر العبث على الحياة تفقد هدفها و شعور بها بلا جدوى، إذ يصبح الإنسان غريب عن عالمه يسير بمقتضى نزواته و غرائزه، (فحياة العبث تجعل من الفرد غريب عن عالمه ميت في حياة الاجتماعية)، وعن نفسه وقيمه وهذا ما شخصته رواية الغريب في بطلها سيرسو في تداوله للأيام والساعات وعدم حزنه على والدته واللامبالاة اتجاه صديقه أو حتى قيامه بجريمة قتل لسبب تافه غير معقول، وأيضا في أسطورة سزيف الذي عاقبته الآلهة برفع صخرة من أسفل الجبل إلى أعلاه وإدراك سزيف بأنها ستندحرج من جديد، إلا أنه وبخطى ثقيلة يكرر رفعها من جديد، إذن كان سزيف يقوم بعمل لا جدوى ولا طائل منه وهو مدرك لهذا الواضع إلا انه يداوله بدون انقطاع. فكامي من خلال فلسفته صور لنا الحياة العبثية في الحياة وكيف يصبح الفرد في العالم الذي يعيش فيه غريب اذا سيطرت عليه رتابة وروتين و يصبح بلا هدف، هذا ما صورته لنا معظم رواياته على خلاف مواقفه.

وإشكالية التي تطرح نفسها: هل يمكن ان تتقاطع فلسفة سارتر والبير كامى بحكم نزعتهم الوجودية؟ لتحليل هذه الإشكالية اتبعنا المنهج التحليلي النقدي حتى نتمكن من تحليل طبيعة فلسفتهم سواء في تناول مبدأ التزام عند سارتر و فلسفة العبث عند البير كامى، كما استخدمنا المنهج المقارن وهذا من اجل الوقوف على نقاط تقاطع فلسفتهم، وكذا تناول اختلافات بين فلسفة سارتر وكامى .

2. الالتزام والوجود الإنساني : جعلت فلسفة الوجودية الإنسان محور دراستها وليس الطبيعة، اهتمت بالحرية والمسؤولية والالتزام والعبث حيث كانت هذه القضايا محورية في طرح الفلسفة الوجودية المعاصرة. يعتبر مفهوم الالتزام من المفاهيم التي يصعب إعطاء لها تعريف جامعا مانعا وشرحا يقينيا خصوصا في المجال الفلسفي، ذلك تأثير الدراسات التي تناولها العديد من الفلاسفة، حيث تنوع بعد مفهوم الالتزام في التخصصات المختلفة.

تعريف الالتزام لغة: من مصدر التزم يقال ألزمه فالتزم ويعني التعهد والائتمان والارتباط، وكذلك التعاطي بالجدية "لزم شيء يلزمه لزما ولزوما لازمه ملازمة ولزاما أي رافقه وبقي معه وألزمه ألزمه، ورجل يلتزم الشيء لا يفارقه ولزام: يعني الملازمة الشيء والدوام عليه والالتزام يعني الاعتناق"¹. إلزام من ألزم الشيء أثبتته وأدامه وألزم فلان شيئا وجبه عليه وقد يقال ألزمه به"². ملتزم يقال على الرجل انه ملتزم متعهد بقضية بمشروع... التعاطي بالجدية مع عواطف أخلاقية واجتماعية يقترب بالوفاء"³.

اصطلاحا: "من اللفظ الإنجليزي cominto ومعناه يتركب فعلا مثلا السرقة، ولهذا يقال يرتبك فعلا حسنا، يستخدم الفعل to comunt كمبني للمجهول committed bieng فإنه يعني أن يكون للإنسان محبوبا ومعه ذلك فإن لفظ يستخدم لأنه مرادفا للفظ الفرنسي engagement الذي يعتبر سارتر اول من استخدمه ويعني الانخراط في العمل، ويقول ان الحرية القدرة على الالتزام بالعمل"⁴. الحالي وبناء المستقبل ويرى يخلق المستقبل لنا يتيح فهم الحاضر وتغييره." والوجوديون المعاصرون يقولون أن الالتزام وهو الاهتمام بتعديل الحاضر في سبيل بناء المستقبل، وهذا لا يتحقق إلا بالحرية. وقد استخدم لفظ الالتزام في الفلسفة الحديثة بتأثير جماعة مجلة Esprit ولاسيما تأثير لما إمنويل مونييه (1905-1950) الذي ذهب إلى أن الالتزام هو الأمانة، وأن الكلام الخالي من الالتزام بنسب إلى فصاحة جوفاء والفصاحة الأدبية لا نخلو في جوهرها من الرياء وإن كان خفيا. فالالتزام جانبان أحدهما معياري ووجودي متعلق بالمستقبل والآخر واقعي أو حقيقي راجع إلى الحاضر والماضي"⁵. وعلى الرغم من أن سارتر نادى بالحرية المطلقة فلا يعني ذلك بالحرية المطلقة ولكنها الحرية التي يكون لها تحديد ذاتي وغاية محددة مختارة، وهذا التحديد الذاتي والغاية المحددة المختارة هو ما يعنيه بمعنى الالتزام والحرية سارتر ليست حرية عمياء بل حرية تلتزم التحديد الذاتي والغاية المختارة"⁶. ويأتي الالتزام في الفلسفة بعدة معان:

- الإخلاص والوفاء لهدف ومشروع يعكس الانعزال.

- الارتباط بشكل محدد من أشكال السلوك.

- الانطلاق الفلسفي أو المذهب على أساس مبادئ أولية محددة.⁷

ولقد ربطت بين الحرية والالتزام أو الالتزام المقصود به نوع من الضرورة أي أنه موقف من الحرية، إذ لأن فكرة الحرية عند سارتر تشمل كل فعل أو سلوك، إذ أن الحرية هي الإمكان المطلق في الالتزام الإنساني وليس لها مكان في الواقع المادي.

2:2- علاقة الحرية بالوجود الإنساني عند سارتر: لقد شغلت الحرية حيزا كبيرا في فلسفة سارتر الوجودية حيث جعلها أساسا لفلسفته إن مفتاح فلسفة سارتر هي فكرة الحرية وقد لاقت نجاحا كبيرا بعد الحرب العالمية الثانية لتعطش الناس لها. إن الماهية الإنسان تتمثل في وجوده وهذا الأخير يترادف والحرية، و إن كانت ماهية الإنسان متوقفة على حريته لأن هو الذي يخلق ماهيته الخاصة لا يمكن أن توجد عند أي إنسان آخر، "فهو الذي يختار بنفسه ماهيته الخاصة وصفاته المميزة لها وبدون أي إجبار من الغير"⁸، بمعنى أن الوجود الإنساني هو نفسه الحرية أي الإنسان الحر فلا يمكن التفريق بين الوجود الإنساني وكون الإنسان حر. فالإنسان محكومون عليه بأن يكون حرا، "يحمل على عاتقه ثقل العالم بأكمله"⁹. إذن سارتر حكم على الفرد بالحرية فهو لا يستطيع أن يختار بأن يكون حرا أو لا يكون حرا، بل هو حرا بالرغم منه، وإن أراد بأن يكون غير حرا فهو حرا في اختياره. إذن إن الوجود الإنسان والحرية لا يمكن الفصل بينهما وكل واحد مرتبط بالآخر فإنهما أشبه وجهان لعملة واحدة¹⁰.

وبما ان الحرية صفة إنسانية وهو من صُنع ذاته، أنه يوجد نفسه بنفسه لأن وجوده يتوحد مع فاعليته التي هي أعماله، بمعنى أنمه يتوحد مع أفعاله الحرة، إذن الإنسان هو ما يفعل وما هو إلا سلسلة من المشاريع، فالوجود الإنساني في نفسه مشروع متوقف رسمه بنفسه ونفذه بحرية التي ليست صفة مضافة أو خاصية من خصائص طبيعته بل إنها نسيج وجودي.¹¹ أي انه يختار بحريته المطلقة دون أي تدخل أو إجبار من الغير، لهذا أن الإنسان يوجد أولا في العالم الخارجي ثم يحدد ماهيته وخصائصه التي تميزه والتي يضعها بنفسه. ربط "سارتر مفهوم الحرية بمفهوم العدم أي أن الإنسان هو الكائن الوحيد الذي هو يستطيع بفعله أن يدخل الوجود إلى العدم أو العدم إلى الوجود، لأن الحرية ناقصة عند الإنسان لأنها يتخللها العدم"¹². أي إن الإنسان هو الذي يفرز عدمه فيستبعد ماضيه ومستقبله ومعنى ذلك ان الوعي الحاصل على القدرة الانفصال عن ذاته أو حاصل على قدرة القرار من ذاته، وهذا الانفصال نفسه يمثل العدم. وأيضا رابط بين الحرية والقلق، "لأن الشعور بالحرية يولد لنا إحساس

بالضيق "حرية الآخرين"¹³. "بحيث أن يحمل على عاتقه ثقل العالم بأكمله، وبالتالي هو مسؤول عنه هذا يتولد لدى الفرد نوع من اللقلق الدائم والفشل من الحروب الحرية.

وبما أن الحرية مطلقة لدى الإنسان حتى وإن كان يعيش في أشد المواقف قهرا وجيرا وتعيينا أو حالة من العبودية والاستغلال الفعلي لكنه امتاز بحريته المطلقة هذه الحالة. وكذلك هو حري في تغيير هذه الحالة إلى الاستقرار والاستقلال لأن بحريته اختار العبودية، وكذلك بحريته يتخلص منها، ولأن لديه الحرية في التغيير وضعه في أية لحظة يشاء، لأن القيم لن يكون لها وجود عند ما يمنع أو عندما يتوقف عن وضعها وقبولها ومعاناتها مشروع "التغيير هو مشروع فردي ذاتي وإنما يدل على هذا على ان الحرية الفردية لا جماعية، لأن الذين يقودهم الجماعة لا يقومون باختبارات التي يريدونها ويرغبون فيها، أي أنهم لا يقومون باختيار أي أنهم مرغمون على التقيد وحرمتهم غير حقيقية لأن اختياراتهم غير حقيقية"¹⁴.

وفي ظل "الحرية هناك تقييد لها أي تقييد في واقعة الوجود نفسها على اعتبار أن وجودي لا يتوقف على وأني لست حرا في الكون حرا وكذلك قيد واقعة الوجود الآخر الذي يقلص من درجة حرتي وببل هو يعتبر ساتر الآخر هو الجحيم"¹⁵. وتظل العلاقة بين الأنا والآخر في صراع، فكما أحاول التخلص من قيد الآخر ذلك يحاول أن يتحرر من قيدي، وكما أحاول أن استبعده كذلك الآخر يحاول أن يستبعدني إذن هذه العلاقة هي متبادلة. وقد عرض سارتر الصراع في أنماط مختلفة بحيث تعرض إليها بالتحليل الدقيق والمفصل في مسرحيته جلسة سرية التي كانت شارحة لهذه العلاقة بين الأنا والآخر.

2-3- الحرية باعتبارها اللامبالاة والحرية باعتبارها الالتزام.

الأولى يعبر عنها بمربيه مباشرة وعن دخولهما المدينة حيث يقول مخاطبا اوريست المربي: "اليوم ها أنت شاب دويسار وجمال محتك كالصيب، حر من كل عبودية وكل اعتقاد لا أهل ولا وطن ولا دين ولا مهنة حر في أن تلتزم ما شئت أي أنه لا ينبغي للإنسان أن يلتزم بشيء قط، وأخيرا ها أنت رجل رفيعا جديرا بتدريس الفلسفة أو الآثار في إحدى المدن الكبرى الجامعية"¹⁶. إن هذه الحرية نوع من الغياب والغربة وعدم الالتزام بشيء أنها تجعل ما حبا يشعر بنوع من الخفة لا يجذبه شيء، هي تلك الخفة في الذات حرية مثلها بحرية خيوط التي تخطفها الرياح من بيوت العناكب، إذن أن حرية لا تزن أكثر من خيط وتعيش في الهواء ولكن ما يريده اوريست لرغبة في تحرر من القهر والندم، إذن نقل اوريست يمثل من الحرية اللامبالاة وغياب خفة إلى الحرية كفعل والالتزام. إذن المرء يستطيع ان "يحقق كينونة ووجوده لا عن

طريق الآخرين بل بإرادته الحرة فهو لا يكون عاجزا إلا إذا أراد أن يكون كذلك ومن ثم ضرورة الالتزام والقضاء: فكرة الاستسلام أو التبعية من أهم القضايا التي تهدف إليها المسرحية¹⁷. وإن التخلي عن المسؤولية هو في الحقيقة قضاء على وجود الإنسان من أجل ذلك هاجم ساتر بكل قوة فكرة الاستسلام للخطيئة والشعور بالندم وإن فهمها أنها شر إنما كان ينبع من اللامبالاة والسلبية والتخلي عن التبعية والشعور بالمسؤولية، إذن الشر كله ينبع من جحود بالالتزام لأن الجحود بالالتزام بمثابة جحود الجحود.

إن موقف أوربست كان يتماشى مع الاتجاه العام لفلسفة المسرحية ولا يناقض موقف الالتزام فيها، فإن تخليه عن حكم بعد انتصاره قد كان رمز للمقاومة الفرنسية التي قصدها ساتر فإن موقف المقاومة الفرنسية للهجوم الألماني المعتصب كان بمثابة الجند في ساحة القتال، لا يهدفون إلى ما وراء الانتصار بقدر ما يهدفون إلى الانتصار نفسه. وما يمكن استنتاجه من هذا الفصل أن اهتمام ساتر بالوجود جعل الفلسفة كلها قائمة على الإنسان والإعلاء من شأنه وقيمه والتأكيد على حريته بحيث أنه واعي بشعوره بالعالم.

وفي هذا يربط الوجود الإنساني بفكرة الحرية و تقييدها بالمسؤولية، وكذا القلق و الجزع الناتج عنها و تناول فكرة الالتزام في العديد من مسرحياته وكتاباتاته و باعتباره هو الذي يعطي للوجود الإنساني معنى ومبتغى ويبعد الحياة عن العبث والخطيئة، حيث جعل للإنسان يكافح من أجل مبادئه السامية التي يؤمن بها ويعتنقها.

3: فلسفة العبث في فلسفة وكتابات البيركامي:

تعود بدايات فلسفة العبث عندكامي (1913_1951) منذ صغره نتيجة للتنشئة الاجتماعية والظروف القاسية والبسيطة بحيث تولد لديه عدم اللامبالاة في الحياة، إذن كيف جسد العبث في فلسفة البيركامي؟

- /العبث في اللغة: العبث: عبث به (كفرح) عبثا: لعب فهو عبث لا عب بما لا يعنيه. وليس من باله، والعبث ان يعبث بالشيء وهو ما لا فائدة فيه يعتد بها¹⁸. وأيضا: العبث هو معارض للعقل، أي هو كل ما يخالف قواعد المنطق، وإن فكرة ممتنعة هي فكرة تكون عناصرها متعاضدة، وأن حكمنا محالا هو حكم

يحتوي أو اشتمل على لا جدوى ولا نتيجة وإن استدلال مستحيلا هو استدلال فاسد شكلا¹⁹. ويقال عن العبث هو الأمر الذي لا جدوى منه ولا يجدي نفعاً، ويقصد أيضاً انه اللهو واللعب والهزل دون غرض معين، وانعدام المعنى، إذ هي لا سبب له ولا نتيجة منه ولا توقع منه.

ب/ اصطلاحاً: العبثية: هي مدرسة أدبية فكرية معاصرة تدعى أن الإنسان لم يعد لسلوكه معنى في الحياة ولم يعد لأفكاره مضمون لذاتها لأنه فقد القدرة على رؤية الأشياء بحجمها الطبيعي نتيجة الرغبة في سيطرة الآلة على الحياة لتكون في خدمة الإنسان، حيث انقلب الأمر فأصبح الإنسان في خدمة الآلة²⁰. بهذا أصبح الإنسان ضائعاً ومهجوراً كل محاولاته لا تجدي نفعاً؛ هي بلا طائل وتتميز بالسخافة والغرابة والوحدة.

أما العبث عند كامى ظهر في أول مجموعة مقالات التي كتبها سنة 1937 بعنوان الوجه والقفا ثم سرعان ما أخذت هذه العبثية في التعقيد أكثر مع صدور مجموعته الثانية من المقالات سنة 1938 بعنوان الأعراس أين سلك فيها مسلك التأمل في تجربة العبث ذاتها دون أن يقدم في مقالاته تفسيراً فلسفياً للعبثية. حيث يرى أن حياة عبث لا معنى له، وهو ينشأ نتيجة الشعور بالتناقض بين واقعين الأول هو شهوة المستقرة في باطن الإنسان التي تطلب الفهم والمعرفة وهي شهوة العقل الذي به نستكشف القوانين²¹. والواقع الثاني هو الواقع الصامت العصبي الذي يرفض بأن يبوح لنا بأسراره وأثرى التصادم بين العقل والوجود قد يكون هذا منبعا للشعور بالعبث²². إذن العبث من وجهة نظر كامى هو الأمل في الخلاص، وليس هناك أنعس عقاب من عمل يؤديه لإنسان دون جدوى ودون أمل.

وفي " عمله كاليجولا 1944 عرض كامى منطقاً عبثياً في التفكير²³. حيث وجد فيها كثير من الدارسين انه يمثل الإنسان العبثي الذي أساء التصرف من التملك القوة والسلطان فباءت نهايته بالفشل. حيث كان يشير كامى في هذه الرواية إلى النازية واعتمادها على القوة والعنف وبالتالي سيكون مصير النازية مثله مصير كاليجولا. وقد كانت هذه الرواية صوت المعبر عن القلق الوجودي الطامح على التمرد والتحرر وهدم الأخلاق والمقدسات، إنه صوت صارخ في وجه النظام الفاسد في أوروبا.

إلا ان كامى كانت له دوافع جعلت منه عبثياً في فلسفته وهي الحياة الفقيرة، التي عاشها في طفولته، حيث انه عاش تحت أشعة شمس والفقر في الجزائري التي أحبها وحافظ على تعلقه بها إذ انه عانى من ويلات اليتيم حيث أنه فقد والده في التجنيد خلال الحرب العالمية الأولى، وتوفي في مشفى سانت

دي بوسنة 1914 وتولت أمه إسبانية الأصل تربيته التي كانت عاملة في خدمة المنازل، وأيضاً جدته المتسلطة وعمه الجزار المثقف القارئ لأندريه جيد²⁴. الذي كان له الفضل في استقباله ورعايته، حيث أن كامي كان يحدثنا عن طفولته. "أذكر طفلاً كان يقيم في حي فقير كان هناك طابقان فقط والدرج عديم النور وبالرغم من مرور سنين فإنه حتى اليوم يستطيع تكبس طريقه إلى البيت في الظلام، ساقاه تتذكر بالضبط ارتفاع الدرجات وبعده "25... وفي 1930 حاز على شهادة البكالوريا وفيها أتابه أول أعراض مرض السل الذي لم يشفى من أثره، وبالرغم من مرضه إلا أنه زاول أسوار الجامعة، وتابع دروسه في الفلسفة.

انضم إلى الحزب الشيوعي وإنشاء مسرح العمل أو الشغل وشروعه في كتابة مؤلفه الوجه والقفا، وبعد استقلال من الحزب الشيوعي الفرنسي بالجزائر بسبب مواقفه المخيبة، واشتغل في جريدة المساء الجمهورية وفي "1942 صار مناضلاً في حركة من حركات مقاومة وفي نفس السنة صدرت رواية الغريب وتلها العمل المسرحي أسطورة سيزيف بها بلغ الشهرة حيث أن الكتابين لقي شغفا كبيراً لدى الشباب، ويشغل كامي كقارئ للأعمال المرشحة للنشر ويصدر تحليله لرواية الغريب بقلم جون بول سارتر²⁶. وأيضاً تعتبر سنة 1956 وما بعدها فترة غنية بمقالاته السياسية المكتوبة حول موقفه من الثورة الجزائرية ثم ينتقل إلى فرنسا ويلقى محاضرة يدعو فيها إلى هدنة والسلم المدني بالجزائر، تحصل على جائزة نوبل للآداب بالعاصمة السويدية نظر للمؤلفات التي قدمها والتي تعكس الواقع الإنساني. في "04 جانفي سنة 1960 يتعرض كامي إلى حادث لقي فيه مصرعه رفقة صديقه ميشال غالي مار قرب مدينة سان سير بعدما اصطدمت السيارة بشجرة ضخمة وهما في طريقهما إلى باريس²⁷. وبالقرب من المكان الحادثة عثر على حقيبة جلدية كانت من بين أدوات الكاتب وجدت نسخة لرواية لم تكتمل بعد بعنوان الإنسان الأول. بذلك انطفأت شمعة أديب ولم تعرف حياته الراحة أبداً خلفاً وراءه العديد من الأعمال روايات وقصص مقالات ومسرحيات.

1:3- فلسفة العبث وأبعاد أسطورة سيزيف

تحكى لنا الميثولوجيا الإغريقية أن الآلهة حكمت على سيزيف الذي كان رجلاً حكيماً وأشد الفنانين حكمة وحصانة، إذ أنه ميلاً للمكر وإلى مهنة قاطع الطريق²⁸. عاقبته الآلهة لأنه سرق أسرارها لأنه اختطف جوبيتر ابنة إيسوبيس ويثأر الوالد من اختطافها وشكا أمرها لسيزيف، ولما كان سيزيف يعلم

بأمر الاختطاف فقد عرض إلى ايسوبس يخبره عنه على شرط ان يعطي ماء إلى قلعة كورنث، لقد فضل بركة الماء على الرعد السماوي وعوقب على ذلك في العالم السفلي، ويخبرنا هوميروس أيضا أن سيزيف كان قد وضع الموت في الأغلال ولم يحتمل بلوتن منظر إمبراطورية الصامتة المهجورة، فأرسل إلى الحرب الذي حرر الموت من يد داحره²⁹. وعلى هذا حكمت الآلهة على سيزيف " بأن يرفع صخرة بلا انقطاعا إلى قمة الجيل حيث تسقط من جديد في العالم السفلي"³⁰ إذن كان سيزيف يبذل مجهودا جسديا كله توتر حيث يرفع الصخرة ويدفعها إلى أعلى قمة من الجبل، بوجه ملتويا، وعلامات التوتر بادية على الخد ويعانقها بكتفه، والقدم التي كان يستند إليها والساعدين واليدين، وفي نهاية الأمر والمجهود الطويل المتعب المرهق يصل إلى القمة ثم ما يلبث إذ يراها تتدرج من جديد وتعود إلى الأسفل ويكرر نفس العملية³¹.

إذ كان "عمل سيزيف البطل لا مجدي، ولا هدف له ولا معنى له هذه العبثية"³² هي التي ستقود سيزيف نفسه إلى التمرد، بحيث ترى هذا الرجل الهابط يخطو بخطوات ثقيلة اتجاه العذاب الذي يعرف اللانهاية، هذه الساعة هي ساعة الوعي: "وتعبير عن عواطف وعذابه واحتقاره وللآلهة وكرهه للموت وعاطفته المتحمسة حياة أدت تلك الأمور كلها إلى ذلك العقاب الرهيب الذي يكرس فيه الكيان من أجل تحقيق اللاشيء وهذا هو الثمن الذي يجب أن يدفعه لقاء الانفعالات وعواطف"³³.

هذه التجربة ترجمة عن لا جدوى مقاومة الإنسان بمصيره التي تتبدى لحظة وعي لدى سيزيف وهي لحظة الإصرار على الهبوط لمعاودة دفع الصخرة إلى الأعلى من جديد وهو واثق من أنها ستحاول الاندفاع إلى الأسفل. يربط كامي هذه اللحظة بتقابل طبقة العمال وكل القوى المستغلة، "عامل اليوم يعمل كل يوم في حياته نفس الأعمال"³⁴ ومصيره لا يقل عبثا من ذلك، وأن الصخرة هي رمز المعاناة شديدة التي يعانيها الإنسان واللامبالاة السردية لمحيطه الصامت هذا العالم الصامت غير المبالي هو الذي يدفع الإنسان بالتساؤل وعندما لا يجد جوابا يكشف أن لا علاقة واضحة بينه وبين عالمه، إذن هناك عبث الحياة الذي لا يبرره ولا يصوغه غير الخلاص المسيحي³⁵. إن أسطورة سيزيف لقيت العديد من الانتقادات بحيث نعت كامي بالتشاؤم مما دفع بكامي على أن يتدخل ويرد عليهم قائلا: إنني لست رساما للعبث، لم أفعل سوى أن عكست فكرة وجدتها ذائعة في الطرقات أما على أنني ساندت هذه الفكرة كبقية الأجيال الذي عشت فيه فهذا شيء طبيعي". وحياة الروتين هي حياة بلا معنى ولا هدف والتكرار الآلي غير الهادف فيما يؤدي إلى الضجر الذي يولد اللامبالاة وحياة العبث هي الموت الصورة السلبية للحياة التي تفقد معناها.

العبث هو ناجم عن موقف الإنسان من لا عقلانية الوجود كدخول الإنسان في عالم يجتر فيه ماضيه في حاضره ويتكرر أعماله، وبحثه عن طريق الخلاص وفقدانه للأمل، فليس هناك أتعس عقاب من العمل ينفذه الإنسان دون جدوى ودون أمل، إذن حياة البشر لا يختلف عن مصير سيزيف، حتى الإنسان أن يفكر في الانتحار لخلاصه من حياة دون معنى، يبقى عاجزا تتصرف فيه الأحداث كيف تشاء، ودخوله في الاغتراب ويحكم عليه بالموت في الحياة القصيرة التي من حق الإنسان التمتع بها، وهذا انهزام يقضي عليه عبثية في الوجود³⁶.

عرضت فلسفة ألبير كامي فكرة العبث والتمرد وجسدت من خلال نماذج لأبطال وروايات (أسطورة سيزيف التي ولد فيها العبث نتيجة لمواجهة النداء البشري وصمت العالم الرهيب) فينتج عنه التمرد على هذا الواقع فعمل الإنسان اللألي يخلق رتابة لانهاية وإحساسه بالملل ومنه يصبح الإنسان غريب عن عالمه وتتحول الحياة عبثية بلا معنى ولأهداف مجرد من كل القيم فالغريب هو من يفقد كل اتصال بعالمه، اذ تنعدم لديه الرابطة مع حياته الاجتماعية وما تمليه من قيم وأهداف والالتزامات.

وما يمكن نستنتجه من خلال قراءة لفلسفة كامي ولرواياته التي طرحت فكرة العبث أنه يكشف عن الوجه السلبي الذي يقضى على الإنسان ووجوده في مقابل الالتزام.

2:3-الالتزام بين جان بول سارتر وألبير كامي

استخدم كل من كامي وسارتر الفن والأدب والمسرح والرواية لطرح آرائهما الفلسفية وتأثر كل منهما بالآخر، وكان هذا الرابط لا مثيل له، إذا كان لكل منهما أثر شديد على المتلقي والدارس لهما من خلال أحاسيس أبطالهم. فلسفة سارتر تتفرع من فرضية الوجود سابق للماهية، يركز هنا على الوجود الإنساني والحرية المرتبطة بالمسؤولية والالتزام حيث جعل سارتر مسرحياته وسيلة لطرح أفكاره ويظهر ذلك من خلال مسرحيته الذباب التي من خلالها كشف عن الحرية وعلاقتها بالالتزام وكذلك في مسرحية جلسة سرية التي تكشف عن المسؤولية و التي تعتبر الآخر هو جسيم ومن خلال هذين المسرحيتين يكشف لنا سارتر عن فلسفته الوجودية التي تنادي بالحرية والالتزام وتربط بينهما برباط وثيق كما انه

تعاطف مع قضايا التحرر في العالم، وخصوصا مع القضية الجزائرية إلا أن تعاطفه مع الجزائر لا يعني هذا بالإطلاقية فتغير موقفه اتجاه القضية الفلسطينية واعتبر اليهود هم السكان الأصليون لتلك الأرض.

أما كامى يبين في فلسفته فكرة العبثية وفي حالة سيطر العبث على الحياة تفقد هدفها و شعور بها تصبح بلا جدوى، إذ يصبح الإنسان غريب عن عالمه يسير بمقتضى نزواته و غرائزه، (فحياة العبث تجعل من الفرد غريب عن عالمه ميت في حياة الاجتماعية)، وعن نفسه وقيمه وهذا ما شخصته رواية الغريب في بطلها سيرسو في تداوله للأيام والساعات وعدم حزنه على والدته واللامبالاة اتجاه صديقه أو حتى قيامه بجريمة قتل لسبب تافه غير معقول، وأيضا سيزيف الذي عاقبته اللآلهة برفع صخرة من أسفل الجبل إلى أعلاه وإدراك سيزيف بأنها ستتدحرج من جديد إلا أنه وبخطى ثقيلة يكرر رفعها من جديد، إذن كان سيزيف يقوم بعمل لا جدوى ولا طائل منه وهو مدرك لهذا الواقع إلا انه يداوله بدون انقطاع. فكامى من خلال فلسفته صور لنا الحياة العبثية وكيف يصبح الفرد غريب عن العالم الاجتماعي الذي يعيش فيه، إذ تسيطر عليه رتابة وروتين وضجر و يصبح بلا هدف، هذا ما صورته لنا معظم رواياته على خلاف مواقفه.

فالفلسفة الوجودية الملحدة إلى قسمين: هما الوجودية السارتريّة الملتزمة والوجودية العبثية يمثلها البيركامي. "فالأولى تقر بأن الوجود سابق للماهية وهو الذي يحدد ماهيته وكذلك أنه مسؤول عنها وملتزم بها"³⁷. في حين أن الثانية كامى يقر بأنه ليس مسؤول من ذلك أنه ليس مسؤول عن أمه وأبيه واسمه ودينه لأنها وجدت قبل وجوده"³⁸. "نعت كامى نفسه بالفنان الفيلسوف وساتر صاحب مواقف سياسية وفي القضية الجزائرية اختار ركامى الصمت بأنه اختار وفضل ولدته الأم على العدالة لكن سارتر دعم الجزائريين³⁹ وألف كتابا بعنوان عارنا في الجزائر، إلا انه بالرغم من تحالفه مع القضية الجزائرية فهذا لا يعني أنه تحالف مع قضايا أخرى فمثلا في القضية الفلسطينية، كان منحازا إلى اليهود واعتبارهم هم السكان الأصليين في فلسطين، أما كامى وبالرغم من الصمت إلا أن قبل كانت لديه آراء عن القضية الجزائرية أي أنه اختلف في رأيه عن سارتر الذي التزم بها. "وفي صحبتها للنساء كان سارتر محبا لصديقه وطلب هو منها الزواج ولكنه لم يتزوجها طوال حياته ولكنه بقيت صدقتها حتى الموت إلا أن في حين كامى العكس لم يكن أي مشاعر لصديقه وتزوج وله ابنتان"⁴⁰.

كانت لدى سارتر نظرة أكثر "سلبية ولدى كامي نظرة إيجابية عن كل من طبيعة والحقيقة البشرية: إذ بحيث نرى في الغريب الذي يهر في التباين بين الواقعية المبهرة عند ميرسو لدى كامي والشعور بالقلق والجحيم الذي اشتهر به سارتر في الذباب"⁴¹. بالرغم من اختلاف آرائها في الكثير من الموضوعات الأدبية والفلسفية، "إذ كان إحداهما مزاجيا وفيلسوفاً في الأساس استغرقت النظريات والأفكار العامة وبينما الآخر روائي في الأساس"⁴². يرى سارتر حبه لتفكير النظري في كل شيء وعن كل شيء وكان عاشقاً للحدث علاوة على إقراره صراحة، كان على نقيض كامي اعترافاً بنقاط ضعفه.

عند سارتر يتبنى العنف في قراره بالقتل، ويرجع ذلك إلى رغبته في أن يكون سبيلاً ليصبح واقعياً واكتساب صلابة ومكانة، بينما كامي قبل العنف متردداً وبغية أداء عمل محدد، وبالرغم من جريمة ميرسو في قتل العربي صدمت الكثير"⁴³. لأن كامي كان أغلبية حياته في أعمال السياسة كان له انخراط أساسي في العنف السياسي ولكن بعد ظهر كخصم للعنف السياسي. عرف كل من سارتر وكامي أفكارهما في فترة زمنية محددة عالج سارتر "الوجودية في قالب مسرحي درامي تمثل في مسرحياته الذباب وجلسة سرية وغيرها في حين أن كامي أيضاً كان يحاكي الواقع المعاش من خلال روايته أسطورة سيزيف والغريب"⁴⁴ والتي نوعاً ما كانت تمثل الحياة التي يعيشها الفرد في الزمن المعاصر ومكابد للتكنولوجيا والتطور العلمي وشعوره بالاغتراب اتجاه أعماله.

4. خاتمة:

ما يمكن استنتاجه أن لأعمالهما الأدبية كان لها أثراً كبيراً بحيث جسدت أعمالهما الأدبية في قوالب فلسفية تحمل رموز ومعاني. إن كلاهما "محباً للحياة وجعلت الحياة الموضوع الرئيسي لدراستهما"⁴⁵ أي أن فلاسفة الوجود يهتمون بالمشكلات المتعلقة بالإنسان ووجده من خلال مصيره واتخذ منهجاً يستخدمونه لدراسة الإنسان والذي هو الظاهرة الحية واعتماد المنهج الفينومينولوجي. كانت لهم القدرة على التعبير عن التجارب الاستثنائية التي عاشتها فرنسا، "بحيث أنهم قدموا للطلاب والشباب والطبقات المثقفة أبطال أدبية جديدة"⁴⁶. كان كل من الرجلين يعيشان بشكل طبيعي في حالة مساواة، "إذ كان ابن الطبقة العاملة، كما أن كامي لم يقيم باستثمار نجاحه للتكبر وارتفاع على الهامات الآخرين وأن سارتر هو الآخر لم يحاول التكبر على الآخرين"⁴⁷. سارتر يبين قيمة الحياة ليس بمبدأ الحرية المطلقة وحسب، بل ارتباط

الحرية بالمسؤولية والالتزام هو الذي يعطي الإنسان ووجوده الأسى حيث يحدد أهداف التي يعيش من أجلها ويسعى إلى تحقيقها ويصبح مسئولاً عنها بإرادته الحرة وعليه تحمل نتائجها.

وكامي يبين من خلال فلسفة العبث أن الحياة تفقد معناها إذ سيطر العبث على مسار حياة الفرد. إذ لا يبقى لوجوده معنى (فراغ، ظلام) أي هدف يسعى من أجل تحقيقه والعيش من أجل ذلك يصبح تابع لنزواته وغرائزه، لأن العيش بلا هدف هو اغتراب و موت. هنا يظهر لنا كامي الجانب السلبي للعبث و لحياة الفرد إذ سيطر عليها العبث بالمقارنة بالجانب الإيجابي للالتزام. سارتر وكامي الجمع في فلسفتهم، بين العبث واللامعقول الحرية والالتزام قضايا اهتمت بمصير الوجود الإنساني والقيم الإنسانية المعاصرة، إذ كانت مكانتها عظيمة في الأوساط العربية والغربية، والمزج بين الجانب الفلسفي والجانب الأدبي أي كان لهما نوع من التعبير والتأثير في الفكر الفلسفي وأعمالهما الأدبية، بحيث يمكننا القول أن سارتر وكامي بالمشاريع التي قدموها كانت حلقة فعالة في سلسلة الفلسفة الوجودية في فرنسا.

5. الهوامش

- ¹-أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، ترخيل احمد خليل، ج1، عويدات للنشر و التوزيع، لبنان، د(ط)، 2008، ص344.
- ²-مراد وهبة، المعجم الفلسفي، دار اسامة للنشر و التوزيع، عمان، ط1، 2009، ص82
- ³-مرتضى الحسيني الزبيدي، محمد، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الابحاث للنشر و التوزيع، الجزائر، ط1، 2011، ص120
- ⁴-مراد وهبة، معجم فلسفي، ص83.
- ⁵-إبراهيم مصطفى إبراهيم، نقد المذاهب المعاصرة، نقد المذاهب المعاصرة، جدار الوفاء لدنيا الطبعة والنشر، الإسكندرية، ط1- 2000 ص304.
- ⁶-إبراهيم مصطفى إبراهيم، المرجع السابق، ص305.
- ⁷-نفس المرجع، ص305.
- ⁸-عويضة كامل محمد محمد جون بول سارتر فيلسوف الحرية دار الكتب العلمية لبنان ط1 1993 ص 93
- ⁹-سارتر، الكينونة والعدم، بحث من الأنطولوجيا الفينومولوجية تر نقولا مبيتي، مركز الدراسات الوحدة العربية، لبنان، ط1- 2009- ص655.
- ¹⁰-إبراهيم مصطفى إبراهيم، نقد المذاهب المعاصرة، ص203.
- ¹¹-نفس المرجع، ص204.
- ¹²-مصطفى غالب، سارتر، دار مكتبة الهلال، د(ط)، 1986 ص52.
- ¹³-مصطفى زكي العثاوي، فلسفة الجمال في الفكر المعاصر، دار المضة العربية، لبنان، د (ط، س)، ص175.
- ¹⁴-محمد مهران، محمد مدين، مقدمة في الفلسفة المعاصرة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د(ط)، 2004 ص113.
- ¹⁵-حبيب الشاروني، فلسفة جون بول سارتر، منشأة المعارف، الاسكندرية، د (ط، س)، ص136.
- ¹⁶-محمد زكي عثمان، فلسفة الجمال في الفكر المعاصر، دار النهضة العربية، لبنان، د (ط، س)، ص187.
- ¹⁷-نفس المرجع، ص188.
- ¹⁸-محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، دار البعث للترجمة، النشر والتوزيع، الجزائر، ط1- 2011- ص09.
- ¹⁹-أندري لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، ترخيل احمد خليل، ج1، عويدات للنشر و التوزيع، لبنان، د(ط)، 2008، ص14.
- ²⁰-مصطفى حسية، المعجم الفلسفي، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، طك1- 2009 ص308.

- 21- جرمين برى، البر كامي، تر جيرأ إبراهيم جيرا، دار الثقافة، بيروت، 1968- ص 242.
- 22- نفس المرجع، ص 242.
- 23- إسماعيل عربي، نماذج من روائع الأدب العالمي، المؤسسة الوطنية للكتاب والجزائر، د (ط)، 1986- ص 37.
- 24- عبد المنعم حنفي، موسوعة الفلسفة والفلاسفة، ج 2- مكتبة مدبولي، د (ط، س)، ص 1097.
- 25- جرمين برى، البر كامي، تر جيرأ إبراهيم جيرا، دار الثقافة، بيروت، 1968- ص 25.
- 26- عبد الرحمن بدوي، دراسات في الفلسفة الوجودية دار الثقافة، بيروت، ط 3- د (س)، ص 155.
- 27- إسماعيل العربي، نماذج من روائع الأدب العربي، ص 34.
- 28- البر كامي، أسطورة سيزيف، تر: أنيس زكي حسن، دار مكتبة الحياة، بيروت، د ط، 1983- ص 153.
- 29- نفس المصدر، ص 154.
- 30- نفس المصدر، ص 154.
- 31- Albert camus, le mythes Ed Gallimard, Paris, 1942- P11.
- 32- المصدر السابق، ص 154.
- 33- نفس المصدر، ص 155.
- 34- نفس المصدر، ص 156.
- 35- فاروق القاضي، آفاق التمرد، قراءة نقدية في التاريخ الاوربي والعربي الإسلامي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان، ط 1- 2004 ص 76.
- 36- نفس المصدر، ص 37.
- 37- ريجان فان، الفلسفة الفرنسية من ديكرت إلى سارتر، تر: فؤاد كامل، دار الثقافة للنشر والتوزيع، د ط س، ص 166.
- 38- إسماعيل عربي، نماذج من روائع الأدب العالمي، ص 73.
- 39- عبد المجيد عمران، جون بول سارتر والثورة الجزائرية، دار الهدى للطباعة والنشر الجزائر، د (ط)، 2007 ص 125.
- 40- رمسيس عوض، ملحدون، محدثون، معاصرون، مؤسسة الانتشار العربي، ط 1- 1998 ص 89.
- 41- رونالد أورنسون، كامي وسارتر، شوقي جلال، مطابع المجموعة الدولية، الكويت، : د ط، 2006 ص 28.
- 42- نفس المرجع، ص 30.
- 43- نفس المرجع، ص 51.
- 44- عبد المنعم حنفي، موسوعة الفلسفة والفلاسفة، ج 2- مكتبة مدبولي، د (ط، س)، ص 224.
- 45- نفس المرجع، ص 224.
- 46- رونالد أروونسون، كامي وسارتر، ص 65.
- 47- نفس المرجع، ص 65.